لمسيحيي لبنان الاكثر تنورا وقدرة على استيعاب ونقل قيم الحضارة العلمانية الغربية ومعطياتها ٠٠ » (٨)

قلنا ان فترة ١٩٤٦ ـ ١٩٥٦ هي مرحلة واحدة ٠ لكن ذلك لا يعني انها انتهت كما بدأت ٠ الحقيقة اننا نلاحظ من خلال دراستها ان ثمة تطورا تدريجيا ، تراكميا يحدث لدى كمال جنبلاط ، كما اننا نلاحظ ان تأسيس الحزب التقدمي الاشتراكي ، وآثار معركة ١٩٥٢ كانت بدأت تترك بصماتها على الزعيم الشاب وتؤهله اكثر فأكثر لاستقبال التطورات العربية الدراماتيكية في منتصف الخمسينات وللتعاطي بشكل جذري مع احداث ١٩٥٨ ونتائجها ٠

وفي هذا المجال يمكننا ان نعتبر فترة ١٩٥٦ ـ ١٩٥٨ فترة انعطاف حقيقي في المسار الفكري لكمال جنبلاط وهو انعطاف رافق تجذيرا ملحوظا في المواقف السياسية جعل صاحبه يتقدم شيئا فشيئا ليحتل مكان الصدارة في النضال الوطني ، وليتميزه منذ الايام الاولى للعهد الشهابي عن القيادة « الوطنية » التقليدية التي ارتضت بتحسين مواقعها تحت ستار « لا غالب ولا مغلوب »٠٠ في حين انها استمرت مغلوبة عمليا ، وفي حين ان امكانية التسوية الحقيقية (هذه التسوية الديمقراطية المتوازنة التي سعى جنبلاط اليها طويلا) كانت متوفرة ٠

منذ تلك الايام ، حتى الاحداث الاخيرة ، وكمال جنبلاط يطور فهمه للوضع اللبناني مستفيدا من تجربته ، ومن امتلاكه للمفاتيح الرئيسية للحياة السياسية في لبنان ، ومن ثقافته الواسعة ٠٠٠ واخيرا من اتصاله بعالم الافكار العلمية وبالحركات والمنظمات والاحزاب اليسارية ٠

غير ان هذا التطوير لم يلغ مكتسبات المرحلة السابقة ، مرحلة التعرف الوضعي ، التجريبي ، على الواقع اللبناني ٠

ولم يكن كمال جنبلاط بحاجة لمن يقول له كم ان هذه المكتسبات ثمينة ، وهو الذي اتيح له ان يختبر صحتها واهميتها ، وبصورة شخصية ومباشرة ، في عمله السياسي ٠ غير انه لا بد من التأكيد ـ وهذا ما يفعله باستمرار في كتابيه « حقيقة الثورة اللبنانية » و « في مجرى السياسة اللبنانية » ـ على ان احداث ١٩٥٨ اثرت فيه تأثيرا عميقا ٠

بعد ١٩٥٨ لم يبدأ كمال جنبلاط يطرح حلولا « للمشكلة اللبنانية » مختلفة الى حد ما عن تلك التي كان يطرحها سابقا فحسب ، بل بات فهمه لهذه « المشكلة » اكثر دقة وموضوعية ٠

يقوم التحليل السياسي الذي طوره جنبلاط (بعد ١٩٥٨) عن الوضع اللبناني ، على المفاصل التالية :

١ ـ يكاد لبنان يكون اتحادا كونفدراليا بين الطوائف ٠ انه بلد ـ ملجأ مؤلف